

اتيكيت المسلم

ثريا الدعيس

اتيكيت المسلم

ثريا الدعيس







حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

رقم الإيداع لدى
دار الكتب اليمنية
(٤٨٥) لسنة 2026

١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

مكتبة خالد بن الوليد
KHALED BOOK STORE
للطباعة والنشر والتوزيع
الجمهورية اليمنية - صنعاء
جوار وزارة العدل ص.ب(2370)
تلفاكس: 224694 - 227855

مركز خالد بن الوليد
للتجارة والتسويق
صنعاء الدائري الغربي
أول شارع الرباط ت: 215699

دار الكتب اليمنية
للطباعة والنشر والتوزيع
ج.ي - صنعاء - الدائري الغربي
تلفون: 215243 - ص.ب(2370)

مكتبة خالد بن الوليد
للطباعة والنشر والتوزيع - فرع عدن
كريتر - جوار فندق العامر
تلفون: 265706 - 269810 / 02

فرع شميلة
جوار برافو سنتر
تلفون:
01 617661

المحتويات

الإهداء..... ٧

المقدمة..... ٩

بسم الله الرحمن الرحيم..... ١٠

مفهوم الرقي بين الحضارة والأخلاق ١٣

بين التقدم المادي والرقي الإنساني..... ١٤

حين يضيع ميزان الذوق..... ١٦

الأخلاق أصل الجمال والرقي..... ١٩

أخلاق العزة والاتزان النفسي..... ٢١

العبادة صناعة الإنسان الراقي..... ٢٢

احترام الوقت ٢٥

ضبط الانفعال..... ٣٠

الامتناع قوة لا حرمان..... ٣٢

أدب العقل واللسان ٣٦

الكرامة قبل المكاسب..... ٤٢

فن التعامل مع الآخرين..... ٤٥

الكلمة التي تحفظ كرامة الآخرين ٤٦

الرفق بالوالدين وبلوغ سن الأربعين ٤٨

فن الزيارة..... ٥٤

فن الضيافة ٥٦

كفالة اليتيم ٥٩

إحقاق الحق ٦٣

التسامح مع الحذر..... ٦٥

فن التعامل مع الأبناء ٦٧

أدب التعاقد الوظيفي..... ٧٧

فن المداينة وحفظ الحقوق المالية ٨٠

خاتمة الكتاب..... ٨٦

النهاية ٩٤

الإهداء

إلى الشَّاب المسلم...

إلى من يحملِ في قلبهِ إيمانًا،

ويسعى لأن يكونَ قدوةً حسنةً

في زمنٍ تشتدّ فيه الحاجة إلى الأخلاق الفاضلة.

أهديك هذا الكتابَ تذكيرًا بأن

جمال الإنسان لا يكون بمظهره فقط،

بل بأدبه، ورحمته، وصدقه،

وحسن تعامله مع الآخرين.



المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

إن من دوافع كتابة هذا الكتاب تلك الصورة العشوائية التي رسمتها ما تسمى بالحضارة الغربية في عالمنا اليوم، وكنت دائمًا ما أعقد المقارنات بين تعاليم القرآن التي أمرنا بها خالقنا، وبين ما يعيشه العالم اليوم من حالة اضطراب وتزايد فوضى في المعايير والقيم الأخلاقية.

ولا أخفيكم القول بأن هذه الأحداث والفوضى الأخلاقية جعلتني الوذ بكلام اللّه مرارا وتكرارا، ألتمس منه الأمان النفسي، وأدعو اللّه في كل يوم أن يحييني بهذه التعاليم والأخلاقيات الراقية، وأن أراها واقعًا ملموسًا في حياتي وحياة الأفراد من حولي، رغم إدراكي بأن الأمر قد أصبح عسيرًا بعض الشيء في ظل ما يشهده العالم من تغيرات وتحولات.

لا يخفى عليك أيها القارئ كيف خطت بنا ماديات هذا العصر بخطوات وقفزات كبيرة نحو عوالم تبعد عنا ملايين الأميال الأخلاقية، ورغم هذا البعد فقد اندلقت علينا ثقافاتهم دفعة واحدة بسبب

مستحدثات التواصل السريعة، فصدمنا جميعًا بفارق الأخلاق بين مجتمعاتنا ومجتمعاتهم.

ثم ما لبثنا إلا قليلًا حتى أصبحنا نضاهيهم ونسايرهم في أغلب الأشياء، إن لم يكن في كل شيء لا علاقة له بالعلم والفائدة.

إن وجودنا في عصر سريع الاتصال، وإن كان قد ساهم في نقل كثير من المظاهر والسلوكيات الغربية إلينا، إلا أنه ساهم أيضًا في الكشف عن جانب آخر من هذه الثقافات، وهو ما جعل بعضنا في حالة اشمئزاز ونفور مستمر لما يتعلق بالثقافة الغربية.

فلولا سرعة الاتصال والتواصل لما كنا لنكتشف بعض المظاهر والسلوكيات التي كانت تتخفى خلف ستار التفوق العمراني والاقتصادي لديهم

ولقد جعلنا هذا الانكشاف نعيد النظر في كثير من المسَلمات، وندرك أن التقدم المادي وحده لا يكفي لصناعة الإنسان الراقي، وأن الحضارة الحقيقية لا تقاس بما تمتلكه الأمم من أدوات وتقنيات فقط، بل

بما تحمله من أخلاق وقيم تضبط حركة الإنسان وسلوكه.

ومن هنا جاءت العودة إلى صفحات الأمان والنور في كتاب الله العزيز:

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ ابراهيم [١]

والحقيقة أنني لا أجيد الوعظ ولا الخطابة، ولكني كتبت ما كتبت لأنني شعرت بالإحراج حين وقفت أمام كتاب الله بتعاليمه وأخلاقياته ودعواته الفاضلة، ثم عرضته على سلوكياتنا، فوجدت التقصير والبعد، مما جعلني في حيرة وتساؤل عن سبب هذا الإعراض وعدم التحلي بهذه الأخلاقيات.

مفهوم الرقي بين الحضارة والأخلاق

بين التقدم المادي والرقي الإنساني

أيها القارئ، حقًا لا يساوم المرء في قناعاته.

ولكن ماذا لو كانت هذه القناعات لم تخضع لميزان العقل؟ أو لربما استوحيت من مشهد عابر، أو تحت تأثير خارجي زينه البهرج واللمعان، وأظهرته الأضواء المزيفة بغير حقيقته؟

إن الإنسان قد ينجذب أحيانًا إلى مظاهر تبدو جميلة في ظاهرها، دون أن يتأمل حقيقتها أو يسأل عن قيمتها ومعناها.

فليست كل صورة براقة دليلًا على الرقي، ولا كل ما ينتشر بين الناس يستحق الاتباع.

لقد أصبح الإنسان في هذا العصر محاطًا بصور ومشاهد وأفكار كثيرة، بعضها يفرض نفسه بقوة التكرار والانتشار، حتى يظن المرء أنها تمثل الحقيقة المطلقة، بينما قد تكون مجرد صناعة إعلامية وترويجية مؤقتة فرضتها ربما مصالح متعددة الاتجاهات.

وهنا تظهر الحاجة لميزان ثابت نعرض عليه ما نراه ونسمعه، ميزان لا يتغير بتغير الموضات والمصالح والأهواء، وإنما يقوم على العقل والفطرة والهداية.

حين يضيع ميزان الذوق

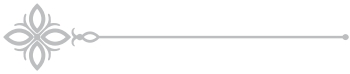
في يوم من الأيام كانت ابنتي تردد أغنية ما، فطلبت منها قراءة كلماتها وترديدها بشكل شعري، لتنصدم لحظتها بخدعة التلحين والموسيقى التي تملأ فراغ الكلمات، وتوهم أذن السامع بأن شيئًا مهمًا يقال، بينما لم يكن في الأصل إلا بعض كلمات غير مترابطة تتخللها بعض الآهات والدندنات لإثارة المشاعر.

وأغنية تلو أخرى لنخرج بالنتيجة نفسها.

ألم يستطع شعراء القصائد المغناة والملحنون سلبنا الميزان الذوقي؟، حتى أصبحت تطربنا كلمات مشتتة لا تحمل معنى عميقًا ولا فكرة!

هل فكرت مرة في تحكيم عقلك بما تردده من دندنة وطرب؟

أم أن الصور العشوائية والموسيقى العالية قد اختزلت قدرتك على النقد والتحليل؟



لن يتوقف الأمر هنا، بل عرّج بفكرك تجاه كل ما يحيط بك من المأكل والمشرب والكلام واللباس، وحتى منزلك الذي لم يعد بعيداً عن هذا المشهد

ألم تستبدل أثاثك ذا الألوان الفاتحة والزاهية بالألوان الباهتة والترابية؟

والتحف الجميلة بالرسوم الغامضة؟

وأركان الورد بالأشكال المسطحة والجوفاء؟

ثم نتساءل:

لماذا يملأ البرود أنفسنا وتخنق الرتابة أوقاتنا؟

فماذا حصل لذوقياتنا؟

ومتى وأين وكيف تسللت هذه التغيرات إلى أنفسنا؟

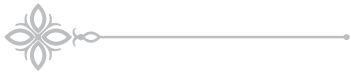
وهل فعلًا أن ما نراه اليوم من الذوقيات التي يتسابق الناس عليها له علاقة حقيقية بالرقي والتحضر؟

ما أقصده:

هل خضع ما يروجه خبراء الإتيكيت في الكتب ومنصات التواصل لميزان الذوق الحقيقي، أم أنه صناعة يقودها من يقود حسب المزاج الشخصي والظرف الزمني؟

وهل فعلًا لبعض المظاهر، كإطالة الأظفار، وتناول الطعام باليد دون غسلها، والمرور بالحذاء في صالات المنازل، واستبدال اليد اليمنى باليسرى في الأكل أو الأكل بهما معًا، هل لها علاقة بالذوق والرقي؟

وهل كانت المصطلحات الرأسمالية ومفردات الاستحقاق على شتى الأصعدة مصطلحات تشير حقيقة إلى التحضر؟



الأخلاق أصل الجمال والرقي

الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان أن الإنسان، ورغم ما توصل إليه اليوم من حضارة عمرانية وتقنية فائقة، إلا أن ذلك قابله انحدار شديد في بعض الأخلاقيات والسلوكيات، وكلما حصل انحدار أخلاقي تبعه أيضًا انحدار في الذوق العام.

ولست هنا بصدد عقد مقارنة أو مناقشة أسباب الانحدار الأخلاقي، فالجواب أصبح واضحًا كوضوح الشمس، ولكن النتيجة التي خلصت إليها هي أن الانضباط الأخلاقي يتبعه رقي ذوقي ملموس في كل مظاهر الحياة.

وكلما انفرط ضابط الأخلاق، تبعته كآبة نفسية وذوقية تتجلى أيضًا في مختلف مظاهر الحياة.

فما العلاقة بين الانضباط الأخلاقي والذوقيات؟

سنتدرج في هذه الأوراق من القاعدة العريضة في فن الإتيكيت، في المعاملات اليومية بعيداً عن القيم المستوردة، لنرتقي إلى الذوقيات الشكلية والمظاهر المرتبطة بإتيكيتنا الإسلامي.

متمنّيةً لكم رحلة هادفة في كتاب الأدب والإتيكيت، الذي لا يعدو أن يكون قطرة صغيرة في بحر أخلاقياتنا الإسلامية الرفيعة.

أخلاق العزة والاتزان النفسي

العبادة صناعة الإنسان الراقي

قد تتساءل: كيف تكون العبادة أساس الرقي؟

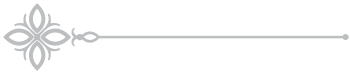
قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

التوبة [١١٢]

هذه آية ترسم لنا لوحة حية تتضمن مشاهد كثيرة متعددة ومتنوعة، لكنها متكاملة، فيها مجتمع حيوي يضج بأنواع العبادة، بين راكع وساجد وحامد وآمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر.

عابدون:

والعبادة أعلى مستويات الإدراك؛ فهي إدراك العبد لحقيقة وجوده وغاية حياته وصلته بخالقه.



حامدون:

والحمد أعلى مستويات الارتياح؛ فهم مطمئنون مستشعرون نعم الله عليهم، يرون الخير في حياتهم ويعرفون مصدر الفضل.

سائحون:

في طلب العلم والتأمل والنظر في آيات الله، فلا يعيشون أسرى للجهل أو الغفلة.

راكعون وساجدون:

يتقلبون في محاريب العبادة، دائمون على الركوع والسجود، تستقيم قلوبهم باستقامة جوارحهم.

آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر:

لم يكتفوا بالصلاح الفردي، بل حملوا هم المجتمع، ليضعوا الأمور في نصابها، فيصلحوا غيرهم، ويمنعوا انتشار الظلم والفساد، فينشروا المعروف ويأخذوا على يد المتجبر.

حافظون لحدود الله:

فهم يعيشون في نظام أخلاقي قائم على قواعد ربانية، يحفظون حقوق الآخرين ويحترمون مشاعرهم ضمن حدود ما أنزل الله.

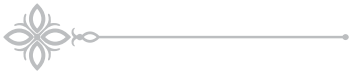
في هذه اللوحة الحية المتكاملة المتوائمة:

أترانا نحتاج إلى وضع لافتة عند مواقف السيارات؟

أو حارس ينظم العمارة وينتبه إلى المصاعد وضبط الأمن؟

أنحتاج هنا إلى المصحات النفسية وعيادات الاستشارات النفسية والأسرية؟

إن المجتمع الذي تتهذب فيه النفوس من الداخل يقل احتياجه إلى الرقابة الخارجية؛ لأن الضمير يصبح هو الحارس الأول.



احترام الوقت

التكاسل والتسويف مفضٍ إلى الخسائر المتلاحقة.

فحب النوم مثلًا يقود في كثير من الأحيان إلى تفويت الفرص وفوات الرزق وتحقيق المكاسب، وكم سمعنا عن صفقات ثمينة عقدت أو مناصب استحوذ عليها بسبب سبق زمني ربما لبضع دقائق.

ولقد سمعنا كثيرًا عن أولئك الذين يمتدحون تقدير العالم الخارجي للوقت، وانضباط الرحلات والأعمال والدوامات في أوقات معلومة، وهذا أمر جيد يتفق عليه الجميع.

ولكن السؤال:

هل فعلًا قد جاء هذا الانضباط برغبة ذاتية، أم بسبب القوانين والأنظمة والخصميات المالية والعقوبات المترتبة؟

لسنا هنا بصدد عقد مقارنة أو تشكيك، ولكن ما نريد أن ندركه هو أننا قد سبقنا العالم إلى التدريب الفعلي على احترام الوقت والانضباط بالمواعيد.

ألم تتساءل يومًا:

ما الذي يدفع عجوزًا متقاعداً أو شابًا في إجازته للاستيقاظ كل صباح في ساعة محددة لا يتأخر عنها؟

ضع خطين تحت كلمة :كل صباح.

كل صباح تعني: لا إجازة ولا إهمال ما بقي نفس يزفر.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ ﴾

النساء [١٠٣]

فكانت الصلاة بمثابة المؤقت في قلب المؤمن منذ أن افترضها الله تعالى تقرع قلبه في زحمة انشغاله، فيراقب حركة الشمس

حتى إذا أتت اللحظة رفع صوت الأذان، وابتدر المسجد.

إننا إذا أردنا إسقاط سلوك الانضباط في أداء الصلاة في وقتها على حياتنا، فإن الانضباط بهذه الفريضة من أكبر المؤشرات الدالة على همة الشخص العالية

وقدرته على إدارة الوقت والانضباط في المواعيد مهما كانت الظروف.

فالذي ينهض من فراشه مغالبًا للنوم والبرد لكي يؤدي فريضته، حتى في أوقات إجازته وبدون عائد مادي محسوس، قادر على الاستيقاظ لتأدية الالتزامات المهنية والعملية في وقتها المحدد.

اعلم أيها القارئ إن العلاقة بين أداء الصلاة في أوقاتها ومثالية الموظف علاقة وثيقة؛ إذ إن الصلاة تجعل في قلب المرء المنضبط منبهًا ومستشعرًا ذاتيًا ينبهه لوقت الصلاة، فينتبه للوقت، وهذا يجعله في حالة يقظة دائمة مع ما تبقى من ساعات العمل.

بعكس من يتفاجأ بانتهاء الدوام، وربما تكدست له الكثير من المهمات التي لم تنجز بسبب عدم الشعور بالوقت.

ولو كان الأمر إلي لجعلت المحافظة على الصلاة في وقتها شرطًا رئيسيًا عند إجراء مقابلات التوظيف؛ لأن المنضبط تلقائيًا يشعرك بالثقة والارتياح، خاصة إذا اجتمعت معه الخبرة والكفاءة العلمية.

والانضباط التلقائي بتأدية الفرائض في أوقاتها على علاقة وثيقة بصفات إيجابية أخرى تتجلى في هذه الشخصية؛ فمن يركل المال ويمتنع عن التعامل وقت الصلاة، جدير بأن يركل الرشوة في عمله.

ومن يقوم من مجلس فيه من الملذات ما فيه، حريٌّ بأن يوصف بأنه رجل يقود رغباته لا تقوده.

ولهذا وصف الله من يحافظون على الصلاة في وقتها رغم المشاغل وجمع الأموال بالرجولة مرتين في القرآن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾

النور [٣٧]

ثم وصفهم في آية أخرى بنفس الوصف:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

التوبة [١٠٨]

فلم يصفهم الله بالمسلمين ولا بالمؤمنين في هذين الموضعين، وإنما وصفهم بالرجال.

والرجولة ليست مجرد قوة جسدية، بل هي جمع من القيم والأخلاق الفاضلة التي نال شرفها الذكر، فجاء لفظ التشريف "رجل" بما يحمله من معاني القوة والزعامة والنبل.

فكيف إذا اجتمعت مع الرجولة صفات التقوى والورع والتواضع والقوة وغيرها من الأخلاق الفاضلة؟

إذن كان احترام مواقيت الصلاة تدريبا عمليا للمسلم على اليقظة والتنبه للوقت.

ولذلك قلّ أن نجد محافظًا على وقت الصلاة مفرطًا في مواعيد العمل، بل نجدهم غالبًا في مقدمة الحاضرين في الأعمال والوظائف، عكس من ينام عن الصلاة ولا يستيقظ إلا بعد فواتها.

ضبط الانفعال

إن الانضباط الانفعالي حقيقة من أصعب الأمور التي تواجه الإنسان، خاصة في حالة الغضب أو التعرض للظلم أو القهر؛ لأن النفس في الأصل تحب أن تنتقم ممن أساء إليها، وتعتز بأخذ الثأر.

فكيف بالمنضبط وقد دفع بعفوه وإحسانه إلى من أساء إليه؟

كيف وقد كظم غيظه، ولجم غضبه، ليجعل من هذا العدو المسيء وليًا حميمًا؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

فصلت [٣٤]

هنا نقف عاجزين أمام هذا الخلق الذي يعد من أصعب الأخلاق تطبيقًا.

كيف وقد قال الله تعالى عن هذه الصفة:

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ فصلت [٣٥]

فهو دفع يحتاج إلى قوة وصبر وترويض للنفس على كبت تغيظها، ولجم غيظها بل ومعاملة المسيء كالولي الحميم.

ومع كل هذه الحكمة المتجلية في الإحسان إلى المسيء، يتوازن المسلم المنضبط، فلا يطغى عليه ولا يعتدي.

وإنما هو العفو عند المقدرة، وإظهار المودة دفعًا للشرور وإزالةً للأحقاد.

ومع ذلك فليس العفو ضعفًا ولا عجزًا، بل هو اختيار نابع من القوة والقدرة.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الشورى [٣٩]

فالمؤمن يجمع بين العفو والحزم، وبين الرحمة والقدرة، فلا يظلم إذا قدر، ولا يعجز إذا انتصر.

الامتناع قوة لا حرمان

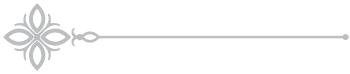
لم يكن الانضباط يومًا ما كبتًا ولا تقييداً، بل هو وسيلة للحياة بحرية تامة، متخلصًا من العبودية المطلقة للشهوات والملذات.

فأسمى صور الحرية أن تكون قادرًا على قول "لا" في وجه رغبة عارمة أو شهوة قاتلة.

فكم قد سمعنا عن حالات من الضعف أمام الرشاوى والأموال، أفضت إلى ظلمة السجن وضياع العمر، أو حتى حالات من الضعف أمام بعض أصناف الأطعمة الممنوعة لدى بعض المرضى، فأودت بالحياة أو بالصحة.

بينما نرى المسلم المنضبط قادرًا على تخطي هذه الابتلاءات بصبر ويقين، فيصوم ويمتنع ويتقي، حتى لو كان بعيداً عن اعين الرقباء.

وليس الانضباط أن تمتنع عما لا تقدر عليه، وإنما أن تمتنع عما تقدر عليه وتشتهيه النفس، ابتغاء مرضاة



الله وخوفًا منه في الغيب. ومن أبلغ الصور التي جسدت هذا المعنى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤ ﴾

يقول العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ ﴾

أي صغير الصيد الذي لا يستطيع أن يفر، فتقدرون على أخذه بأيديكم دون تعب ولا مشقة.

وهذا من الابتلاء للمحرم؛ حيث سيظهر له الصيد الكبير والصغير، وربما يغشاه في أماكنه، لكنه يمتنع عن تناوله مهما اشتهاه.

إن في هذا المنع توطينًا للنفس على الصبر، وترويضًا لها على مغالبة رغباتها.

وهـذا الامتنـاع لا يشـبه الصـيام فقـط؛ لأنـه مقـرون بـالبلاء، والـبلاء هنـا هـو تيسـر الصـيد وظهـوره دون بحـث عنه أو مشقة في طلبه.

وإن كـان هـذا الـبلاء خـاص بـالمحرم إلا أنـه يتجلـى بمفارقـات بسـيطة فـي شـتى منـاحي حياتنـا بأشـكال مختلفة.

ومـن أجمـل مـا قـرأت فـي إسـقاط هـذه الآيـة علـى واقعنـا أنـه قـد تـأتي الفـتن دون طلـب، وتتعـرض للإنسـان دون بحث، لكنها تحتاج إلى انضباط عالٍ لمقاومتها.

فتـأتي المنـاظر المفسـدة أمـام طالـب العلـم أثنـاء بحثـه، أو تظهـر الإعلانـات المنبثقـة أثنـاء تصـفحه للمواقـع، أو تظهر له الحسابات والمقاطع التي تضعف عزيمته.

لكن الإنسان المنضبط يقاوم هذا الإبتلاء رغم سهولته وتيسره؛ فيمتنع عن مشاهدة ما يفسد أخلاقه، ويحذف من يفسد صفحته، ويقدم بلاغًا عن إعلان غير لائق، ويرفض التمادي في الحديث الذي لا يليق، ويضع حدًا لكل شيء على هاتفه.

وهنا نفهم أن قضية الصيد خاصة بالمحرم، لكن خلق الامتناع والتصدي شامل للصالحين.

ونستوعب أيضًا أن القيود أحيانًا قد تأتي بالحرية، وأن الانفلات في كثير من الأحيان يأتي بالعبودية والمذلة.

أدب العقل واللسان

فن الكلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحج [٢٤]

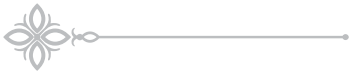
ومع انتشار ظواهر التجبيه والإفحام والثرثرة، نجد قلة قليلة من كرام القوم قد لزموا الحكمة، فإذا تحدثوا وزنوا الكلام قبل تفلته، فإن كان حسنًا تحدثوا به، وإن لم يكن كذلك التزموا الصمت.

ذلك لأن قلوبهم مرتبطة بقول الله تعالى:

﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ فاطر [١٠]

فهم على علم ودراية بأن كل كلمة لها أثرها، وأنها ليست مجرد صوت يخرج ثم يذهب، بل قد تكون سببًا في إصلاح أو إفساد.

ولهذا يحفظون ألسنتهم من أن تنطق إلا خيرًا، وبذلك يسلمون من الملامة والعتب.



فكم قد سمعنا عن كلمة أريقت بسببها الدماء، وفرقت بين الشعوب، وكم نرى ونسمع عن كلمات ومنشورات في وسائل التواصل تحمل الطعن في الأوطان والأنساب والحضارات، فأججت الأحقاد وأوغرت الصدور.

وربما كانت بدايتها كلمة عابرة، ثم تلقفها أصحاب المآرب السيئة، فزادوا فيها حتى أصبحت سببًا للخصومة والعداوة بين الناس.

إن الكلمة مسؤولية، ومن أدرك ذلك علم أن الصمت في بعض المواطن حكمة، وأن الكلام لا يكون فضيلة إلا إذا كان محملا الخير والنفع.

فن الاستماع

من صفات الشخصية الحازمة أنها إذا سمعت مررت ما سمعته على ميزان العقل قبل أرشفته في القلب والعقل.

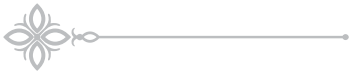
فإن كان حسنًا، يزيد في فهمها ووعيها وإدراكها، وكان متوافقًا مع الفطرة السوية، ويقود إلى ما فيه المصلحة، أخذت به وانتفعت.

وإن كان باطلًا أو ضارًا أعرضت عنه ولم تلق له بالًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ الزمر [١٨]

فتأمل كيف جعل الله اختيار الإنسان لما يسمع معيارًا للرشد والفطنة.

أما قليل الفهم ضيق العقل، فلا يدرك ولا يستوعب الطرح النافع، بل تجده يتقلب بين المواضيع السخيفة التي لا تنفع ولا ترفع، لا في درجات الدنيا ولا في الآخرة.



وقد وصف اللّه قوماً يسمعون دون انتفاع فقال:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ محمد [١٦]

فهم لا ينتفعون بالكلام النافع، بينما قد برعوا في تلقف المعلومات المضللة والأفكار السخيفة، فيجادلون في كل أمر مخالف للعلم والفكر والدين بسبب تتبع الفكر المضلل والمعلومات المزيفة.

الجدال والحوار

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾ الفرقان [٦٣]

وما أكثر الجدل في زماننا هذا وما أكثر تعالي الأصوات وصخبها في كل أمر هام وغير هام وفي شتى مناحي الحياة حتى أصبح الجدل صفة ملازمة وسمة سائدة لأغلب الناس في هذا العصر فنراهم يختصمون ويبالغون في الشر في امر امرئ يعيش في أقصى الأرض لا يعلم عنهم شيئا حتى يؤول بهم المطاف إلى الفجور والاعتراك.

فأما أصحاب المنطق والحكمة إذا وردوا على أهل الجهل بأمر الدين والعبادة، فهم أرق الناس قولًا وألطفهم منطقًا، يحببون الخلق بخالقهم، ويذكرونهم بنعمه عليهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ فصلت [٣٣]

فإذا جادلوهم وبالغوا في الخصومة وفظاظة الألفاظ، لم يخوضوا معهم في معارك اللؤم، إذ أن غايتهم ليست مغالبة السفهاء بل نصحهم وتبصريهم، ويترفعون عن ذلك بالحلم والإعراض.

لإن مجادلة السفهاء تورث الضيق وتستنزف الوقت بدون نفع او جدوى

فما أجمل الورود الكريم والمرور الهادئ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥ ﴾ القصص [٥٥]

وهنا يتجلى التفاوت بين النفوس؛ فمن أراد البقاء في المستنقع الموحل من الخصومات والمهاترات، فإن النفس الراقية تنصرف عنه محافظة على كرامتها ووقارها.

الكرامة قبل المكاسب

تأمل في قصة نبي الله يوسف عليه السلام حين جاءه العرض الباهر وهو في قاع السجن، متهم في عفته، مطعون في أمانته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ يوسف [٥٠]

لقد كانت فرصة ثمينة لشاب تشير إليه أصابع المجتمع بالخيانة والغدر، معزولًا في ظلمات السجن لعدة سنوات، أن يتحرر بل ويصبح في بلاط الملك أمينًا ومستشارًا.

لقد كان هذا المنصب وحده كفيلًا بأن ينمق مستقبل هذا الشاب في أوساط المجتمع مهما كان ماضيه.

لكن يوسف عليه السلام، بما يحمله من كمال العقل والصبر، تريث في قبول العرض، وامتنع عن الخروج حتى تظهر براءته، فيستحق موقعه استحقاق جدارة، لا استحقاق عطف أو قضاء حاجة أو تأدية غرض عارض.

إن مثل هذه الفرص الثمينة تندر أن تتكرر في حياة الشخص، بل تندر أن تتكرر في حياة كثير من الناس، ولذلك قد ترغمنا هذه الندرة على اغتنامها وغض الطرف عن الماضي، بل ربما نعذر أنفسنا ونوهمها ونسليها بالتجاوز والعفو عما مضى.

لقد علم يوسف ان خروجه من السجن سيمنحه فرصة جديدة للحياة الرغيدة لكن ذلك لن يمحي ما علق في اذهان الناس من التهم الباطلة التي وجهت له ولذا أراد يوسف ان يخرج بريئا قبل ان يخرج حرا.

وهنا يكمن الفرق؛ فصاحب العقل الراجح لا يستكين للشبهات ولا يقبل على نفسه التهم الباطلة، لأن ديننا دين كرامة وعزة نفس، وصفحات بيضاء لا يقبل المساومة على المبادئ والاستسلام السلبي.

فإن ظهرت البراءة وتجلت الحقيقة، كان العفو عمن أساء إلينا خلقًا كريمًا، وتجاوزًا عن الانفعالات والأحقاد.

ولهذا رفض نبي الله يوسف عليه السلام هذا العرض المكلل بالعفو عن ذنب لم يقترفه، فقال:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ ﴾

فن التعامل مع الآخرين

الكلمة التي تحفظ كرامة الآخرين

وكما قلنا في أكثر من موضع، فإن خلق الانضباط مع النفس يتعدى ليشمل الآخرين.

وما أكثر المواقف المتباينة بين الأشخاص حيال حدث واحد، وما أكثر ردود الأفعال الموجعة التي تأتي دون تفكير أو تثبت.

نراها يوميًا في حياتنا، في بيوتنا وشوارعنا وأعمالنا، تندب القلوب وتترك أثرًا مؤلمًا في النفوس.

ولعل أكثر هذه المواقف ظهورًا وابتلاءً ما يكون مع المحتاجين والسائلين؛ إذ يطرقون أبواب الناس في أوقات مختلفة وظروف متباينة، فتظهر عندها حقيقة الأخلاق ودرجة الانضباط معهم

فتحمل الضعفاء والسائلين النصيب الأوفر من هذه الأوجاع؛ لأنهم أكثر الناس تعرضًا للاعتذار والرد والمنع، وأشدهم تأثرًا بطريقة الخطاب وأسلوب المعاملة



لكن القرآن لم يغيب هذا السلوك بل هذبه وادبه

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ الإسراء [٢٨]

وقد ذكر أهل التفسير أن معنى القول الميسور: القول اللين الجميل، والوعد الحسن الذي يجبر خاطر من اعتذر له الإنسان.

فليس كل رد جفاء، ولا كل منع قسوة، وإنما المعيار هو حسن الرد وجمال الأسلوب.

وقد يعجز الإنسان عن العطاء، لكنه لا يعجز عن الكلمة الطيبة.



الرفق بالوالدين وبلوغ سن الأربعين

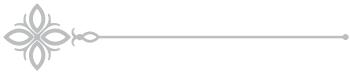
إذا كان القرآن قد هذّب أدب الرد مع متسول في الطريق بهذا الأدب الجم، فكيف بوالدين أفنيا أعمارهم في التربية والرعاية؟

إن من يتعلم الرفق بالسائل، وحسن الرد للمحتاج، وجبر خاطر الضعيف، يصعب أن يتصور التفريط في أبويه أو التنكر لفضلهما لأن النبل لا يتجزأ ولا ينفصل ولا يتفرق، بل يزداد ويتلاحم مع ازدياد درجة القرابة.

ولذلك فإن مجتمعات يسودها البر والتراحم والإحسان لا تكاد تعرف العقوق فضلاً عن أن تجعل الوالدين عبئًا يُتخفف منه، أو أن تبحث لهما عن مأوى بعيد عن دفء الأسرة وحنان الأبناء.

فكيف إذا أدرك المسلم أن هذا البر وصية الله له في كتابه؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ الأحقاف [١٥]



ولم تقف هذه الوصية بالأفعال فقط، بل امتدت لتشمل دقائق الألفاظ وحتى الإيحاءات فحتى أقل كلمات التذمر وأبسط إشارات الضيق تدخل في هذا الأدب العظيم

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

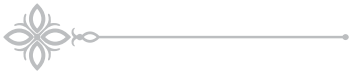
﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ الإسراء [٢٤]

أي تواضع لهما وأظهر الرحمة واللين، ليس خوفًا منهما، بل رحمة بهما وإشفاقًا على حالهما.

فهذا حال الإنسان في الدنيا: ضعف ثم قوة ثم ضعف.

وهذه الوصية بالوالدين جاءت في صورة متلاحمة مع مشهد مهيب عند بلوغ الأربعين واكتمال العقل واتزانه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ الأحقاف [١٥]



وقفة تأمل بين الماضي والمستقبل

ماضٍ حافل بملاحقة أسباب الحياة والتغلب على مطباتها من التعليم والوظيفة والزواج وتأمين الرزق ومتاع الحياة.

ثم يقف الإنسان أخيرًا في منتصف الطريق.

وأن تقف في المنتصف خير من ألا تقف.

فإن الوقوف في منتصف الطريق خير من الوقوف في نهايته؛ إذ أن الفرصة مازالت سانحة لمراجعة الماضي، والطريق لا يزال أمامك لتغيير المسار.

عمر الأربعين للشخص السوي منصة عالية يتأمل منها الماضي، ويستشرف منها المستقبل.

وكلنا قد وصلنا إلى ما نحن عليه اليوم بفضل الله وتوفيقه وشامل رحمته بنا.

فما أجمل شكر المعروف، وإظهار الحق، والاعتراف بالفضل.

ثم يتطلع إلى المستقبل، وهو يتمنى أن يتدارك بعض ما فاته من الخير في صبوة الشباب وعمر الطيش، فيشد العزم على العمل الصالح فيما هو آتٍ.

أيًا كان نوع العمل؛ عبادة لله أو عملًا فيه منفعة للأسرة والوطن.

وبين عمر مضى وعمر آتٍ، تزهر أعمار جديدة هي جزء من عمره وقطعة من روحه فيدعو الله لها بالصلاح.

وفي الختام، ما أجمل أن يعيش الإنسان ما بقي من عمره خالي البال، مرتاح الضمير، قد تحلل من هفوات الشباب وآثام الماضي، فيختم ملف الطيش بالتوبة النصوح والرجوع إلى الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ الأحقاف [١٥]

ما أجملها من رحلة يمم وجهتها نحو الله، وطلبت رضاه، لتعيش النفس في هناء وسعادة وطمأنينة.

فن الزيارة

للزيارة عند الكريم أوقاتها بحسب العرف الشائع، وقد سبق ديننا الإسلامي جميع المناهج الحضارات في ضبط آداب الزيارة وتنظيمها، حيث خصص لها القرآن الكريم أوقاتًا وضوابط بأمر إلهي.

فالإنسان بطبيعته تأتي عليه حالات وأوضاع لا يحب أن يطلع عليها الآخرون،

قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ النور [٢٧]

فالإنسان مستور في بيته بحاله التي لا يحب أن يراه عليها أحد، فإذا اعتذر من الزائر وطلب منه تأجيل الزيارة، وجب على الزائر تقدير ظرفه وقبول عذره.

وانظر إلى التأديب الرباني للعباد:

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ النور [٢٨]

فقد ذكر العلماء أن معنى الآية: إذا لم يُؤذن لكم بالدخول، فعودوا بأدب واحترام.

وفي هذه الآية تدريب عملي على احترام خصوصية الناس، وتمرين جاد على التأدب مع ظروفهم وأوضاعهم.

فديننا الإسلامي دين أدب واحترام، هذّب الأخلاق حتى أصبح الإنسان أرقى في معاملاته وأسمى في سلوكه.

فن الضيافة

"مرحبًا بالقوم الذين جاءوا غير خزايا ولا ندامى"

هكذا كان يستقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أضيافه مبتسم الوجه طلق المحيا، كريم الاستقبال وهذا هو دأب انبياء اللّه وصفوة خلقه يخلقهم اللّه به ويغرسه الوحي في اتباعهم الى يوم الدين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ ﴾ الذاريات [٢٦]

"راغ" في اللغة يدل على الذهاب بخفية ولطف، ومنه قولهم: راغ الثعلب، أي مال وانسلّ بخفة.

وهكذا أرشدنا القرآن إلى تصرفات الأنبياء الجليلة.

فعندما رأى نبي اللّه إبراهيم عليه السلام الضيوف، لم يظهر في وجهه التكلف ولا التذمر، بل انسل بهدوء إلى أهله ليصنعوا طعام الضيوف بسرعة.

وتأمل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ ﴾ هود [٦٩]

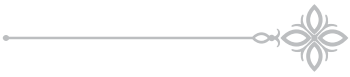
فلم يمكث نبي الله إبراهيم إلا قليلًا حتى عاد بعجل سمين مشوي.

فكان هذا أول عمل يفعله نبي الله بعد استقبال الضيوف: المبادرة إلى إكرامهم.

وفي الإسلام لا يعد المال الذي تنفقه على الضيف مغرمًا ولا خسارة، بل هو من كمال الخلق والأدب.

وليس كما صورت لنا بعض مظاهر الحضارة الحديثة، حين تحولت الضيافة عند بعض الناس من خلق كريم توارثته الأجيال إلى إجراء شكلي يؤدي الغرض بأقل قدر ممكن من الكلفة، حتى أصبحنا لا نكاد نرى قطعة الحلوى في الصحن لصغر حجمها وقلة عددها بدعوى الاتكيت

حتى غلبت حسابات المظهر والاقتصاد على معاني الكرم والترحاب. فينصرف الضيف أحيانًا وقد رأى ترتيبات الضيافة وصورها التي انتشرت عبر مواقع التواصل، لكنه لم يلمس دفء الترحيب ولا أثر السخاء الذي يجبر الخاطر ويؤنس النفس.



والحقيقة أن مثل هذه الصور ما كانت معروفة من قبل بل نشأت مع نشوء النظرة المادية على المعاني الروحية، فقيست الضيافة بجمال المظهر في الصور لا بجمال ما تركته من أثر طيب في نفس الضيف، وهي نزعة ينبغي الحذر منها حتى لا تفقد الضيافة روحها ومقصدها الأصيل.



كفالة اليتيم

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ النساء [٦]

دعونا نتأمل قوله تعالى: ﴿ آنَسْتُم ﴾ ، وما يخبئه هذا اللفظ من مشاعر الحنان والأبوة الصادقة، من الأنس والسعادة والاستبشار ببلوغ الرشد واكتمال العقل والفهم لهذا اليتيم.

فهذه هي أحوال النفوس السوية التي لا تغريها أموال القاصرين، ولا يغيظها قوتهم واستواؤهم، كما هي حال ضعاف النفوس الذين يسارعون إلى الاستيلاء على الأموال إذا عجزوا عن نصب الحيل والمصائد لكبح أي سلوك يشير إلى بلوغ الحكمة وحسن التصرف لدى اليتيم.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ ﴾ النساء [٦]

فإذا بلغ اليتيم ذلك الرشد ، اختبره الكافل السوي بدفع جزء يسير من ماله، فإن آنس منه رشداً، وعلم منه صلاحاً وحسن تصرف، دفع إليه المال الباقي كاملًا.

وتأمل كلمة: ﴿ فَٱدۡفَعُوٓاْ ﴾

هي كلمة تشعرك بعبء هذا المال وثقله وكأن الدفع ازاحة عن كاهل الأمناء من البشر، فيدفعه إلى مستحقه مستعففًا ، غير مجزئ له ولا مستبخل به.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦ ﴾ النساء [٦]

فأشهدوا عليهم شهادة عدل تثبت اكتمال الرشد وتوثق أداء الحق.

وهـذه شـهادة أعظـم مـن شـهادة حسـن السـيرة والسـلوك التـي تصـدرها المؤسسـات؛ لأنهـا شـهادة مقرونـة بالحـب والأنس.

فمـا أعظمهـا مـن نهايـة تلتقـي فيهـا فرحتـان؛ فرحـة للكافـل بـأداء الأمانـة وتسـليم المـال كاملًـا، وفرحـة لليتـيم الـذي ثبـت لـه حـق الأهليـة والكفـاءة أمـام جمـع من الصالحين.

نهايـة لا يلمـس جمالهـا إلا مـن عاشـها واقعًـا؛ كافلًـا أو مكفولًا أو شاهدًا عليها.

أيها القارئ:

ما كان هذا المشهد الجميل ليرتسم لولا انضباط النفس وتورعها عن أكل أموال الناس بالباطل.

وما هذه النهاية إلا مشهد من بين آلاف المشاهد التي تحققها الأمانة والورع عند قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ ﴾ المؤمنون [٨]

فما أجمل هذا الدين الذي ضبط هذه القلوب، فتسامَت وتعالت تارة، وتواضعت وخضعت تارة أخرى.

لا تفرق في الحق بين يتيم وغيره، ولا بين كبير وصغير، ولا بين عدو وحبيب، بل ربما كانت أكثر احتياطًا في معاملة العدو وأشد حذرًا من ظلمه.

إحقاق الحق

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ ﴾

المائدة [٨]

وقوله تعالى: ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ من أعلى صيغ المبالغة، فهي تدل على أن القيام بالحق صفة ملازمة للعبد لا تنفك عنه مهما كان الخصم؛ عدوًا كان أو قريبًا أو بغيضًا.

حتى يتحقق معنى العدالة الحقة التي تجبر النفس على قول الحق، وإن لم يكن لها فيه مصلحة.

فتدرك النفس حينئذ أنه لا مفر لها إلا أن تستقيم على هدى الله، وإلا كان الحساب منها مهما علت درجتها ومكانتها.

فيتحقق السلم الاجتماعي، ويرتفع صوت العدل فوق كل صوت.

فإن هذا الدين شامل ومحتوٍ للجميع، حتى ولو كان الطرف الآخر عدوًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ المائدة [٨]

وتأمل كيف جاءت المباشرة والفورية في الأمر بالعدل مع العدو ﴿ ٱعْدِلُوا۟ ﴾

حيث أتت بأمر صريح لا يحمل على التخيير.

وهكذا هو الدين العادل الذي يضبط رغباتنا وأهواءنا، ويؤدب ميول الانتقام الموجودة في النفس، حتى تنزجر وتعود إلى ركاب الإنسانية السمحة.

التسامح مع الحذر

ما أبهى العدل إذا استوثق بالعفو وغض الطرف عند استحقاق العقوبة.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾ الشورى [٤٠]

ولا يعني هذا الإحسان أن يقترن العفو والتجاوز بالغفلة أو حسن النية المفرطة.

فالمؤمن كيّس فطن، شديد الانتباه والحذر من العدو، حتى وإن تم التجاوز عنه.

وقد نبه الله تعالى المؤمنين إلى أهل الغدر والخيانة، فلا يحملنك عفوك وإحسانك على حسن الظن المطلق بهم.

فالمؤمن غالٍ نفيس بما يحمل من نفائس الصفات وفضائل الأخلاق.

وانظر إلى لطف الله بعبده الصالح ولطفه به؛ يحميه من الوقوع ضحية لحسن الظن أو التساهل، ويشدد على أخذ الحيطة والحذر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْۗ ﴾ النساء [١٠٢]

وهذا هو التحذير الأول.

ثم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةًۚ ﴾ النساء [١٠٢]

وهذا هو التحذير الثاني من الغفلة، والدعوة إلى أخذ الحذر والحيطة والانتباه.

فهنيئًا للعبد الصالح هذه العناية الإلهية وهذا التوجيه الرباني؛ فلو شاء الله لحفظه بلا سبب، ولكنه أرشده لأن يكون مؤمنًا ذكيًا حذرًا بفطنته وبما أعطاه الله من مؤهلات الإستخلاف.

فن التعامل مع الأبناء

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ الصافات [١٠٢]

في كثير من الأحيان نصل إلى دائرة مغلقة في تعاملنا مع أبنائنا، وقد يصيبنا نوع من الإحباط بسبب غياب الحكمة وافتقارنا إليها.

وهذا الإحباط يتولد نتيجة ابتعادنا عن دستور حياتنا وخارطة الطريق والهدي القرآني والنبوي، فنقع في مآزق متتالية.

ولو أننا حين نقرأ القرآن ندرك أن هذه القصص والأحكام هي إشارات ربانية لنا، نستلهم منها أساليب وطرق التعامل في الحياة، لكنا قد تخلصنا من كثير من المشاكل والمعضلات بسهولة ويسر.

إن قصة نبي الله إبراهيم واسماعيل عليهما السلام لا ينبغي أن تمر علينا دون أن نأخذ منها الدرس

المستفاد، لتكون قاعدة عريضة في تعاملنا مع أبنائنا.

وبغض النظر عن مسألة الصبر والامتثال، فهذا أمر يطول شرحه، لكن كيف نسقط هذه القصة على تعاملنا مع أولادنا؟

أن يذبح الرجل ولده، وليس أي ولد؛ فلا هو طفل صغير ولا رضيع، بل هو الذي بلغ معه السعي.

يسعى معه، يعمل معه، يشاركه الأعمال، يحادثه، ويأنس به.

ابن ليس أي ابن، بل ابن بار، شاب يافع، مكتمل، ونبي أيضًا.

هذا الابن الذي جاء بعد دعاء وحاجة:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الصافات [١٠٠]

ثم جاء البلاء وليس أي بلاء

إن أشد ما في الإبتلاء كان في كيفية مكاشفة الأب لولده بهذا الأمر الإلهي.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ الصافات [١٠٢]

لكن الذهول الحقيقي لم يكن في المكاشفة بل كان في سمو الرد وعظمة الجواب:

قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ الصافات [١٠٢]

فأي ولد هذا الذي سيذبح؟

كم هو شبيه بأمه حين قالت:

يا إبراهيم، آللّه أمرك بهذا؟

لقد رد الأمر مستسلماً للّه، ثم أعان أباه للإمتثال لأمر اللّه.

أعانه ربما وعيناه تذرفان، لا خوفًا من الذبح، بل حزنًا لحزن أبيه وهول الأمر الذي تنفطر له القلوب.

فواساه وخفف عنه:

قَالَ تَعَالَى : ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

الصافات [١٠٢]

مشهد يهتز له الوجدان لو ابصرت العيون كيف ترقرت العيون في لحظات الوداع وكيف امتزجت نبرات التسليم وعبرات الأسى بعزة الإيمان والثبات .

وفي تلك اللحظات الحرجة يأتي ابليس يوهن العزيمة و يحيك الحبائل في قلب الخليل:

يا إبراهيم، أتذبح ابنك؟

هكذا أراد ان يبث في قلبه الأحزان، ويخاطبه بخطاب الأبوة، فيرده بالإيمان الصادق وكمال التسليم

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ ﴾ الصافات [١٠٣]

لما أسلما وما ينطوي تحت هذه اللفظة من مشاهد لم ترى لكن المؤكد أن هناك وداعًا، وتأخيرًا ولحظة فاصلة، حتى أتت اللحظة الحرجة في حياة كل منهما.

فلما أسلما الأمر لله، وعزما على التنفيذ وهم الخليل بالذبح بعد أن اضطجع إسماعيل جاء الفرج الإلهي يتوج هذا الثبات العظيم

ثم نادى المنادي:

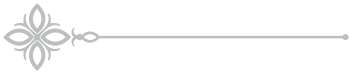
قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ ﴾

الصافات [١٠٤-١٠٦]

ليعلن نجاح الإختبار ويكون الفداء كرامة للأب في صدق بذله وللإبن في كمال طاعته واستجابته.

ف قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

الصافات [١٠٨-١١١]



خلد هذا الفعل، وخلدت هذه القصة، وجعل ذكراه شعيرة خالدة في أركان الحج؛ لندرك أن التسليم لله ركنا مكينا في عقيدة المسلم، ونعظم فعل نبي الله إبراهيم الذي شكر الله له ثباته وصبره.

كيف لنا أن نتخيل عزيزي القارئ هذه العلاقة المبنية على حبين:

حب فطري بين الأب والابن، وحب عقدي ديني بين نبي ونبي.

وكيف لنا أن نتخيل أن هذا الابن الصالح سيغدو ذبيحًا تحت حد السكين؟

وكيف سيكون وقع الخبر عليه؟

تعال معي لنقترب أكثر، ونرى فن التعامل في المواقف الأكثر تعقيدًا.

ولنستلهم جميعًا الدروس، ونتفحص مقاصد الآيات بعين مبصرة.

حين جلس نبينا إبراهيم جلسة الهادئ المطمئن، بدا ذلك واضحًا من تناغم عبارته وابتدائها بالتلطف والتودد:

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾

الصافات [١٠٢]

ولنتأمل عذوبة الابتداء: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾

وعذوبة الانتهاء: ﴿ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾

خطاب يوحي بعمق الحب وفيض الرحمة.

يعلم نبي الله إبراهيم أن الأمر أمر رباني لا يحيد عنه، ولكنها الصبغة الحسنة للمسلم في التشاور عند اتخاذ القرارات.

لم يباغته، ولم يأخذه على غرة، بل ترك له المجال ليشركه أجر الإمتثال ويستخرج من قلبه عبودية الرضا والتسليم عن طيب خاطر.

فيدهشنا بروعة الجواب:

قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴾ الصافات [١٠٢]

نداء يوحي بأنك مهما فعلت بي فأنت أبي، أقرب الناس إلي وأحبهم إلى قلبي.

ثم هون عليه الأمر بقوله:

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ الصافات [١٠٢]

فهو صابر عند البلاء، قوي العزم على ما أراد الله، مستعين بالله على ذلك.

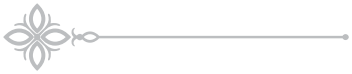
والآن لنسقط هذا الحوار على حياتنا في أمورهي أبسط بكثير من قرار الذبح؛ كقرار عمل أو زواج أو نقل أو دراسة، وغيرها مما يلزم فيه التشاور مع أفراد الأسرة.

هل نحن بهذه الكفاءة؟

وهل نعلم أبناءنا هذه الآداب في الرد على القرارات المفاجئة؟

كم هي الأوامر المباغتة التي أصدرناها لأبنائنا، وكم هي الردود الفظة التي تلقيناها؟

هل كنا نحتاج حقًا إلى مدارس التربية السلوكية والإرشاد الأسري والنفسي لو استلهمنا دروس القرآن وأخلاق الأنبياء؟



أدب التعاقد الوظيفي

لم تكن قصة نبي الله موسى مع الرجل الصالح قصة لتخليد الأحداث فقط، بل هي قصة تحمل لنا الكثير من الرسائل والتوجيهات في فن التعامل والانضباط.

فوفق السلوك النبوي، وقبل قطع الوعد وقبول عرض العمل أو رفضه، نجد التروي والتريث حاضرًا في القرار.

فلما عرض الرجل الصالح على نبي الله موسى أن يزوجه ابنته مقابل أن يرعى الأغنام ثماني حجج أو عشرًا، وعلى الرغم ما انطوى عليه هذا العرض من تمكين لشاب غريب خائف ترك دياره بلا زاد ولا متاع، إلا أننا نجد الحكمة حاضرة في أسلوب التعامل مع العرض.

فقد أعطى لنفسه الفرصة والعذر فيما قد تفرضه الأيام من مفاجآت وتقلبات.

لم يتسرع في الرد، ولم يقطع عهداً يلزمه بما لا يعلم عاقبته.

وفي هذا الخيار تجلت الفطنة وظهرت سرعة البديهة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ القصص [٢٨]

إن هذه القصص القرآنية لم تذكر للتسلية، وإنما لأخذ الفقه والآداب منها.

وما أبعدنا عنها، وما أكثر أتعابنا وأحزاننا حين ابتعدنا عن فقه القرآن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ المائدة [١]

والعقد هو كل اتفاق ملزم بين طرفين أو أكثر.

إن إبرام العقود مع الخلق ليس أمرًا هينًا ولا يسيرًا، فالهدي والأدب الإسلامي شدد على ضرورة الوفاء ببنود العقد.

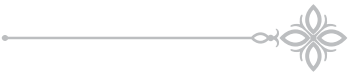
والمسلم الصالح لا يحتاج إلى شرط جزائي أو عقوبة إذا أخل بالعقد، لأنه ممتثل لأمر الله في كتابه الحكيم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ النحل [٩١]

ولما كان المسلم بطبيعته يسعى إلى أعلى مراتب الحكمة، إذ إن الحكمة ضالة المؤمن، كانت الفطنة والتريث من ميزاته.

فهو منضبط في اتخاذ القرارات، غير متسرع مهما كانت العروض مغرية، يتفحص البنود والشروط قبل القبول بها؛ لأن العقد ملزم للتنفيذ في ضميره، حتى وإن لم يكتب، لأن الله شاهد عليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ النحل [٩١]



فن المداينة وحفظ الحقوق المالية

لقد شدد ربنا تعالى على القضايا المالية، حتى أنزل آية كاملة عرفت بآية الدين، وفصلت المواريث ومتعلقاتها في القرآن تفصيلًا دقيقًا.

اعلم أيها القارئ أن القرآن حرص أشد الحرص على القضايا المالية؛ لأن النفوس بطبيعتها تميل إلى حب المال، ولأن أكثر الخصومات بين البشر كان سببها المال وما يتعلق به.

ولهذا، وحفظًا للحقوق، وإبقاءً لروح الود والتعاون بين الناس، لم يغفل ديننا الإسلامي عن وضع القوانين التي تحفظ مصالح الناس بهدوء وتناغم، وتضمن حق الدائن والمدين.

فمن الدين المؤجل، إلى الإشهاد، إلى بيان ضرورة إملاء المدين أو من ينوب عنه لشروط الدين، سواء كان الدين كبيرًا أم صغيرًا، وبيان أجله، إلى أحكام التجارة الحاضرة، إلى بيان دين السفر وعدم توفر الكاتب.

كل هذه المنظومة المالية والقانونية جاءت واضحة ومفصلة في القرآن مباشرة من الخالق الذي يصلح أمر العباد.

حتى ختم الله آية المداينة بقوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢ ﴾

البقرة [٢٨٢]

فهذا التشريع ليس مجرد تنظيم مالي، بل هو تربية للنفس على الأمانة والوضوح وحفظ حقوق الآخرين.

اخلاق الرحيل

هل فكرت يوما ان القران قد علمنا كيف نصنع النهايات كما علمنا كيف نبدأ البدايات؟

اعلم أيها القارئ أن ديننا الإسلامي لم يغفل حتى عن المشاعر والعواطف، فما كان الحزن والألم ليمرا دون جبر خاطر ولا الفراق ليمضي دون مواساة.

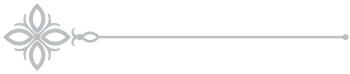
فالانفصالات غالبًا مؤلمة:

قطع أواصر بعد صلة.

وبعثرة بعد توحد.

ووحشة بعد ألفة.

وتتحمل المرأة في كثير من الأحيان الوزن الأكبر من هذا الألم، فغالبًا ما تكون هي المتألمة، وليس بالضرورة أن يكون الألم للحظة الطلاق نفسها، بل ربما يكون لعمر طويل قضته في حياة لم تثمر ما كانت ترجو، ثم تعود إلى نقطة البداية، لكنها تحمل هذه المرة الخيبة ومرارة الأسى.



وربما يكون الألم من رهبة الموقف نفسه بما يحمله من انكسارات غيرت مجرى الحياة.

وأيًا كان السبب، فقد أرشدنا القرآن كيف يكون الرحيل بإحسان وكيف تبقى الأخلاق حاضرة عند كل انتهاء.

فأمر أن يكون الفراق في أرقى صورة؛ فراقا تنهيه المروءة ويغلقه الاحسان جميلًا مكللًا بالعطايا والهدايا، لا محملًا بالضغائن والأحقاد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾

البقرة [٢٤١]

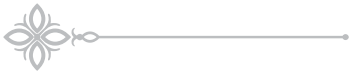
وفي موضع آخر: قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾

البقرة [٢٣٦]

فانظر كيف أشاد الله بمن يحسن النهايات؛ فتارة يصفهم بالمتقين، وتارة بالمحسنين.

وكما قال العلماء: جعل الله هذا الحق في المال والعطايا للمطلقة على مطلقها؛ جبرًا لوحشة الفراق، وإزالة لما قد يكون بين الزوجين من شقاق، وتخفيفًا لما قد يحيط بجو الطلاق من تنافر وتخاصم وعدم وفاق.

ولقد شدد القرآن على إحسان النهايات في أكثر من موضع وآية، فأعاد التنبيه على ضرورة التسريح بإحسان، وعدم الإمساك بقصد الإضرار والتعنت.



والحقيقة أن التشديد على إحسان النهايات بين الزوجين جاء بصور متعددة؛ سواء في النفقة أثناء العدة، أو مؤخر المهر، أو حق الرضاعة، أو عدم الإخراج من البيت، أو عدم المضارة بالولد.

والتفصيل في هذه الأمور يطول.

اعلم أيها القارئ أن كل هذه الضوابط ما كانت لتأتي عبثًا، بل جاءت تدريبًا فعليًا على ضبط الانفعالات، وشرف الخصومة، وتغليب الفضل والإحسان في شتى النزاعات في الحياة.

ولكن لما غبنا عن قراءة القرآن، غابت لدينا الكثير من الفضائل والأخلاقيات، وأصبحنا نتصرف تصرفات شخصية حسب الأهواء، لا حسب التربية الإلهية والتعليم الرباني لنا.

فضاعت أخلاقنا، وتحللت قيمنا.



خاتمة الكتاب

أيها القارئ

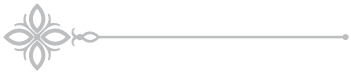
بعد ان تجولت في تعاليم هذا الكتاب وآدابه وإتيكيته الأخلاقي الذي يعلي من قيمة الانسان ويجعله اهلا للإستخلاف والقيادة في هذا الكوكب دون سائر المخلوقات

حق لنا ان نتساءل

كيف وصلنا نحن المسلمون الى ما وصلنا اليه من البعثرة والفراغ والركض خلف قواعد الآداب المستحدثة التي تتغير في كل عصر وزمان

ولماذا نزعت منا هذه القيم وتجردنا عنها دونما شعور؟

وربما كان الجواب الشافي لما ذكرته في مقدمة الكتاب من تسليم عقولنا وحواسنا للإعلام ووسائل التواصل والمشاهير المفرغين من كل قيمة وعلم، ويوما تلو يوم وساعة عقب ساعة حتى توالت علينا الثقافات والمستحدثات فغمستنا واصبغتنا دونما شعور فقرأنا القران ولكن لم نعد نفهمه وقرأنا السنة



ولكن لم نطبقها حتى آل بنا المآل الى ما نحن عليه اليوم من انحسار الفضائل إضافة الى عبء تأخرنا الاقتصادي والعلمي.

ولا أخفيك أنني، شأن كثير من أبناء جيلي، لم أكن بمنأى عن تأثير الثقافة المادية وسيطرتها على عقول الأطفال والشباب في زماننا.

فقد تعرضت، كما تعرض غيري، لسيلٍ متواصل من الرسائل والقيم التي تسعى إلى إعادة تشكيل نظرتنا إلى القيم الانسانية النبيلة من زاوية مادية بحتة.

وقد تعرضت لتلك الرسائل والتجارب مما جعلني اليوم اراجع الكثير من المفاهيم التي كانت تغرس في ذهني ونظرتي للحياة.

في طفولتي مثلا لا حصرا كانت القناة المحلية تعرض الفيلم الكرتوني المشهور كابتن ماجد البطل المهووس بتحقيق حلمه بالسفر الى البرازيل ليصبح بطل العالم وكان خصمه هو الكابتن بسام الفتى الأسمر الفقير الذي يسكن في بيت شبه متهدم وتعاني امه من مرض خطير ولا تجد قيمة

الدواء في هذه الاثناء يأتيه عرض مغر؛ ففي حال فوزه على ماجد فإن شخصا ما سيدعمه لإكمال تعليمه الثانوي وسيتكفل برعاية اخوته الصغار وتوفير الدواء لامه المريضة وكل احداث المسلسل جرت حول هذين الخصمين والهدفين، هدف انقاذ الام المريضة من احتمالية الموت والاخذ بيد بسام لإكمال تعليمه ورعاية اخوته وهدف اخر وهو تحقيق حلم ماجد للالتحاق بالبرازيل

مالذي حدث؟

لم نتعاطف مع بسام لم نهتم لأمر امه المريضة ولا امر اكمال دراسته ورعاية اخوته الصغار

غُيب الهدف النبيل وبدا الهدف الشخصي بارزا في كل احداث المسلسل

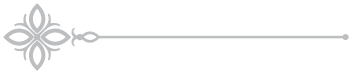
وبطريقة التلميع والتزيين استطاعوا اختلاس فطرة الفضيلة لدى الأطفال واستبدالها بالشهوات المادية وتغليبها على قيمة الام ورابطة الاخوة والتكافل الاجتماعي.

هكذا ببساطة تم تحويل عقولنا وتفكيرنا ناحية الانانية والمادية والاستحقاق القائم على سحق حقوق الضعيف وعدم مراعاة احوالهم.

وفكرة تلو فكرة ومسابقة تتبع أخرى تتابع الموج حتى في أحلك الظروف التي تمر بالإنسان والشعوب لتكتشف فرقا هائلا بين ماكنت عليه وما أصبحت عليه اليوم من البلادة وعدم الاكتراث للجوعى والقتلى والثكلى وضحايا الحروب.

لقد سرقت منا هذه القيم الانسانية دونما شعور فأصبحنا مفرغين من الداخل حتى سهل تعبئة عقولنا بالبدائل فعقدت الصفقات التجارية واخترعت البراندات والماركات بل وتنافس المتنافسون في الترويج لتجارتهم الرديئة بإصباغها صباغ الموضة والتحضر حتى غدا ما كنت تراه كئيبا جميلا، وماكنت تقسم ألا ترتديه لباسك المفضل.

وهكذا تغيرت أيضا حتى الاذواق تبعا لتغير مزاج صاحب البراند او العلامة التجارية وتسلل البؤس إلى حياتنا تبعا لاضمحلال القيم الفاضلة في لجج الماديات العاتية وتعاركت الروح مع المادة فانتشرت المقاطع التي تمجد الماضي وتحن للقديم وتبكي على اطلال الذكريات وهذا مع الأسف ما كنا نقرأه ونسمعه قبل فترة وجيزة عن العالم الغربي الذي امتلأ ماديا وفرغ نفسيا وروحيا.



أيها القارئ

انني في هذا الكتاب لم اتطرق الى الذوقيات الشكلية التي اعتنت أيضا بتهذيب المظهر والسلوك والتي شرعت لتكتمل بها أرقى صور الرقي والتحضر والامثلة في ذلك كثيرة كآداب الكلام والضحك وطريقة الالتفات نحو الاخرين وأسلوب الاستئذان حتى انه قد بلغ من عناية رسولنا صلى الله عليه وسلم بهذه الذوقيات والآداب انه قد درب رجلا تدريبا عمليا لكيفية الاستئذان قبل الدخول بل وحتى في تفاصيل الأكل كطريقة أكل اللحم أو التمر وشرب الماء وغير ذلك من السلوكيات المهذبة واللطيفة التي جاء بها الإسلام

إن هذه التوجيهات والتدريبات النبوية قد صنعت من أولئك الاعراب الغلاظ الجفاة أرقى شعوب الأرض وهذبتهم أيما تهذيب ورغم كل تلك الآداب الا انني لم اتطرق لها في كتابي لأنه أصلا لا قيمة للمظهر إذا لم يكن الجوهر مستقيما كما لا قيمة للعطر على جسد متسخ.

تذكر:

إن صناعة الانسان الراقي تبدأ من الداخل حيث الاتزان والسلامة النفسية

التي تنعكس على كل افراد المجتمع وبهذه الصورة يتحقق القول الإلهي (كُنتمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس).

وتذكر أيضا

إن قيمة الإنسان تكمن في النوع لا في الكم

وأن الثراء المادي لن يستطيع الصمود طويلا لتغطية الفقر الأخلاقي او ملء الفراغ القيمي.

لذا وجب علينا ونحن في زمن إنهارت فيه المعايير والثوابت التحري لما نسمع ونرى ونعتقد.

ما أتمنى ان تقرره في نهاية هذا الكتاب هو أن تحتفظ بشخصك، بقلبك، بعقلك، بأخلاقك وبكل قيمة وهدف نبيل يفعم مشاعرك بالصحة والإيجابية وأن تجعل الفضيلة ميزان الحكم فيما تكتسبه من أخلاق لتنعم باستقرار نفسي وذهني

وكل هذه العافية النفسية ستجدها في كتاب اللّه بين أمر بمعروف ونهي عن منكر وحث على خير وفضيلة مدرجة في آية:

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾

فالحمد للّه الذي أنزل لنا هذا الكتاب ليخرجنا من الظلمات إلى النور

أسأل اللّه ان يرزقنا تلاوته والعمل به والتخلق بأخلاقه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

النهاية

وتنتهي الصفحات، لكن لا ينبغي أن تنتهي الرحلة. فالفكرة الصادقة لا تموت بإغلاق كتاب، والكلمة التي خرجت من قلب صادق قد تجد طريقها إلى قلب آخر بعد زمن طويل.
وربما يكون هذا الكتاب قد انتهى بين يديك، لكنه بدأ الآن في داخلك.

فيا من وصلت إلى هذه الصفحة الأخيرة، لا تجعل هذا الكتاب مجرد صفحات قرأتها ثم أغلقتها. إن قيمة الأفكار ليست في جمالها حين تكتب، بل في أثرها حين تتحول إلى عمل.
فلنبدأ بأنفسنا، ونصلح ما نستطيع، فإن أعظم التغييرات تبدأ بخطوة صغيرة يستخف بها الناس، لكنها في الحقيقة قد تكون بداية طريق عظيم.